الأوضاع السياسية لبلاد أفريقية قبل الفتح الإسلامي

إعداد

الباحثة / احلام حسين رزين الخماش

طالبة ماجستير- قسم التاريخ – كلية الاداب والعلوم الانسانية – جامعة الملك عبدالعزيز

أولا: بلاد أفريقية:

هي البلاد التي تمتد من مصر شرقاً الى المحيط الأطلسي غرباً وبالتحديد الى مدينة طنجة[١] المطلة على البحر الأبيض المتوسط من الشمال؛ اما الحد الجنوبي فيمتد من بلاد النوبة [٢]ويتجه الى الحد الغربي بمحاذاة المحيط الأطلسي [٣].

وقد أطلق الفينقيون [٤] لفظ أفري على أهل البلاد التي كانوا يسكنون حول مدينتهم القديمة وعاصمتهم قرطاجنة[٥] ، وعنهم اخذ اليونان هذا الاسم فأطلقوه على أهل البلاد الأصليين الذين يسكنون المغرب من حدود مصر الى المحيط الأطلسي و لفظ إفريقية مقتبس من الكلمة اللاتينية "أفريكا .(Africa) "وقد استخدم الرومان هذا اللفظ، و اخذه العرب عنهم وأرادوا به كل ما يلي مصر غرباً الى ساحل المحيط الاطلسي شرقاً [٦]

وإفريقية هي الجزء الشرقي من المغرب العربي الإسلامي، لذلك أطلق عليها عدد من المؤرخين المعاصرين اسم بلاد البربر الشرقية، [٧].

---

[١] ـ طنجة : بلد على ساحل بحر المغرب ، الحموي ، ياقوت ،معجم البلدان ،(بيروت ، دار صادر) ج٤ ، ص ٤٣

[٢] ـ النوبة : بلد واسعة وعريضة جنوب مصر ، الحموي ، معجم البلدان ، ج٥، ص ٣٠٩

[٣] ـ الاصطخري ، أبو إسحاق إبراهيم ، المسالك والممالك (بيروت : دار صادر) ص ٣٦ ، ٣٧

[٤] ـ الفينيقيون : من القبائل العربية التي هاجرت الى منطقة الهلال الخصيب وتعد من الاقوام السامية ، مهران ، محمد بيومي ، المغرب القديم (الإسكندرية : دار المعرفة الجامعية) ص١٥٥

[٥] ـ قرطاجنة : بلد قديم في نواحي إفريقية وقيل اسم البلد قرطا واضيف إلية جنة لطيبها وحسنها ، الحموي ،معجم البلدان ، ج٤،ص ٣٢٣.

[٦] ـ خطاب ، محمود شيت ، قادة فتح المغرب العربي ،ط ٧ (دمشق : دار الفكر ١٩٨٤) ج ١ ، ص١٣

[٧] ـ برنشفيك ، روبار ، تاريخ إفريقية في العهد الحفصي ، نقلة الى العربية : حمادي الساحلي (بت : دار الغرب الإسلامي) ج١،ص٢٩؛ ابن خلدون ، عبدالرحمن بن محمد ،العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر، ط١(بيروت : دار الفكر) ،ج٦ ،ص ١١٧

عرف سكان بلاد المغرب قديما بالبربر وقد تباينت اراء المؤرخين في ذلك فمنهم من أشار الى ان لغتهم كانت تختلط فيها الأصوات غير المفهومة حتى قيل ما اكثر بربرتكم [٨] ومنهم من ذكر ان لغتهم كان يكثر فيها استعمال حرف الباء والراء [٩] كذلك عرفوا باسم الأمازيغ ومعناها الرجل الحر الخشن او كريم النسب [١٠]، وقد سكن بلاد المغرب قبل الفتح الإسلامي ثلاث اجناس من السكان هم

١- البربر او الأمازيغ : وهم سكان البلاد الاصليون الذي ارجع النسابون من العرب والبربر نسبهم الى أصول عربية سامية بل ارجعوها الى قيس بن عيلان [١١].

انتشر البربر في شرقي البلاد حيث توجد قبائل لواتة والتي تفرعت منها هوارة واورغة ونفزاوة وأوربة[١٢]، وفي غرب البلاد حيث المغرب الأوسط والمغرب الأقصى كانت تقيم قبائل كتامة والزواوة [١٣] والزناتة وبنو يفرن [١٤] وغمارة ومصمودة وجزولة [١٥] ولمطة وصنهاجة [١٦]، وكذلك سكن بعض من قبائل زناتة في البقاع

---

[٨]- ابن خلدون ، ديوان المبتدأ والخبر ، ج٦، ص١١٧

[٩] - زغلول ، سعد ، تاريخ المغرب العربي (الإسكندرية : منشاة معارف) ج١، ص ٨٠

[١٠]- الدارودي، سعيد بن عبدالله ، حول عروبة البربر،ط١ (الرباط : فكر) ص٩٧

[١١] - ابن خلدون ، ديوان المبتدأ والخبر ، ج٦ ، ص ١١٧

[١٢] أي في طرابلس وبرقة والجريد والاوراس، ابن خلدون ،ديوان المبتدأ والخبر ، ج٦ ، ص ١٣٢

[١٣] كانت كتامة تقيم في منطقة القبائل الصغرى والزواوة في منطقة القبائل الكبرى، ابن خلدون ، ديوان المبتدا والخبر ، ج٦، ص ١٣٥

[١٤] الزناتة كانت تقيم في الساحل الجزائري بين منطقة القبائل ونهر الشلف اما بنو يفرن فقد انتشروا في المنطقة الممتدة بين شهر الشلف شرقا ونهر مولوية غربا ، ابن خلدون ، ديوان المبتدأ والخبر ، ج٦ ، ص١٤٧

[١٥] غمارة تتد في الريف المغربي ومصمودة على الساحل الأطلسي وجزولة في جبال الأطلس الكبير ، ابن خلدون ، ديوان المبتدا والخبر ، ج٦ ، ص ٢٠١

[١٦] لمطة تمتد في جنوبي المغرب وصنهاجة المعروفة بأهل اللثام والتي تعيش عيشة البدو الرحل تمتد في الصحراء الغربية ، ابن خلدون ،ديوان المبتدا والخبر ، ج٦ ، ص١٣٣

المحاذية للهضاب العليا ومن تلك البقاع انتشرت نحو المغرب الأوسط والمغرب الأقصى[١٧].

تفرعت قبائل المغرب الى فرعين هما :

- البتر : وانتسبوا الى مادغيس بن بر بن قيس بن عيلان الملقب بالأبتر [١٨] واشتهرت قبائلهم بالفروسية والروح العالية في القتال ولهذا الفرع من البربر عشائر رئيسية هي ضريسة والتي تنقسم الى مكناسة وزناتة التي يتفرع منها جراوة ومغراوة وبنو يفرن وبنو زيان وبنو مرين ومن عشائر بربر البتر نفوسة وأداسه وبني لواته[١٩].
- البرانس : وهو الفرع الآخر من قبائل البربر ومن اشهر قبائله قبيلة صنهاجة التي امتدت بطونها الى مختلف انحاء المغرب ، وقبيلة ازداجة واوربة واوريغة وكتامة وعجيسة ولمطة وهسكورة وجزولة ، وكانت هذه القبائل من بربر البرانس تسكن في المدن وبعضهم كان يقيم في المناطق الساحلية القريبة من البحر وبعضهم يسكن في مناطق جبلية وكانوا يتحضرون بالحضارة اللاتينية متأثرين بثقافة سكان البحر المتوسط من الروم والوندال [٢٠].

٢- الروم البيزنطيون : كانت منطقة شمال افريقية تحت حكم الإمبراطورية المقدسة لعدة عقود وامتد حتى عهد

---

[١٧] - ابن خلدون، ديوان المبتدا والخبر ، ج٦ ، ص١٣٤

[١٨] - ابن خلدون ، ديوان المبتدأ والخبر ، ج٦ ، ص ١١٧

[١٩] - ابن خلدون ، ديوان المبتدأ والخبر ، ج٦ ، ص ١١٨، ١١٩

[٢٠] - الوندال : هم من اصل جرماني ، زحفوا في القرن الرابع الميلادي على اسبانيا واحتلوها ، الحموي ، معجم البلدان ، ج٤ ، ص١٧٧

الإمبراطورية الرومانية الشرقية (البيزنطية) التي تعتبر امتدادا للإمبراطورية الرومانية المقدسة وقد تركز هؤلاء الرومان في قسطيلية والجريد [٢١] وكانوا يدينون بالنصرانية[٢٢]. ، و كذلك نجد الإفرنج ويقصد بهم الفرنسيون قد قدموا إلى السواحل الجنوبية للبحر الأبيض المتوسط واستوطنوا بعض الشواطئ هناك[٢٣].

٣- الأفارقة :

دخلوا في خدمة الرومان وتأثروا بهم في العادات والتقاليد واعتنقوا النصرانية وكثيرا ما كان الأفارقة يقومون بمناصرة الخارجين عن السلطة المركزية في بلاد المغرب [٢٤].

٤- السودان :

وكانوا يمثلون نسبة قليلة وقدموا الى المغرب نتيجة الى العلاقات التي كانت تربط بلاد المغرب مع السودان [٢٥].

٥- اليهود:

انتشروا في شمال افريقية وكان شأنهم في كل زمان ومكان هو ممارسة الربا والانخراط في اعمال الصناعة والتجارة [٢٦] .

الأوضاع السياسية والدينية في شمال أفريقية :

الأوضاع السياسية في شمال أفريقية:

---

[٢١] - في بلاد الجريد من ارض الزاب الكبيرة قسطيلية وهي مدينة كبيرة عليها سور حصين ، الحموي ، معجم البلدان ، ج٤ ، ص ٣٤٨

[٢٢] - ابن خلدون ، ديوان المبتدأ والخبر ، ج٦ ، ص ١٤٠

[٢٣] - خطاب ، قادة فتح المغرب العربي،ج١، ص ٢٠

[٢٤] -خطاب ، قادة فتح المغرب العربي، ج١، ص ١٨

[٢٥] - خطاب ، قادة فتح المغرب ، ج١ ، ص٢٠

[٢٦]، خطاب ، قادة فتح المغرب ، ج ص ١٨ ،٢٠

كان شمال افريقية وعاصمتهم قرطاجنة منطقة خاضعة للروم الشرقيين (البيزنطيين)وكانت تحكمهما حاميات بيزنطية يرأسها حاكم عام يعينه الإمبراطور. وفي السنوات القليلة التي سبقت الفتح الإسلامي عين الإمبراطور موريسmauricius[٢٧] البطريق هرقل heraclius[٢٨] قائدا أعلى على المغرب عام٢٢ق هـ/ 600 م ، وبعد أن اعتلى العرش الإمبراطور الجديد فوقاس Phocas[٢٩] عام٢٠ق هـ/ ٦٠٢ خلفا لموريس mauricius أعلن البطريق هرقل معارضته وبرز ذلك بوضوح عندما أراد أن يفصل منطقة إفريقية عن الإمبراطورية [٣٠].

نجح هرقل في كسب تأييد سكان القسطنطينية[٣١]ضد ذلك الإمبراطور الغاشم ، و قد ساعده موقف سكان شمال إفريقية من البربر الذين أيدوه نظرا لحكمه العادل . إلا أن هرقل كان طاعنا في السن فعين ابنه هرقل مكانه ورفعه إلى مرتبة الإمبراطور[٣٢] ، و تمكن البطريق هرقل من الاستيلاء على الإسكندرية عام٣ق هـ/

---

[٢٧] ـ تولى حكم الإمبراطورية البيزنطية في ظروف اقتصادية سيئة وبالرغم من مؤهلاته العالية فالحكم الا انه بسبب الضرائب الشديدة التي فرضها على الشعب قدته شعبيته ونتيجه لذلك قامت ثورة عسكرية انتهت باعتلاء فوقاس العرش سنة ٦٠٢م، توفيق ، عمر كمال ، تاريخ الإمبراطورية البيزنطية (القاهرة : دار المعارف) ص٦٢

[٢٨] ـ هو إمبراطور الإمبراطورية الرومانية الشرقية (البيزنطية) وهرقل اسم مختصر لاسمه (فلافيوس أغسطس هرقل) ينحدر من أصول ارمينية ، حكم منذ٦١٠م ،التربانى ، جهاد، مائة من عظماء أمة الإسلام غيروا مجرى التاريخ (القاهرة : دار التقوى)ج١،ص١٠٥

[٢٩] ـ اعتلى عرش الإمبراطورية البيزنطية سنة ٦٠٢م كان مجرد رجل عسكري ولم تكن له مؤهلات صالحة للحكم، توفيق ،تاريخ الإمبراطورية البيزنطية ، ص ٦٣

[٣٠] ـ توفيق ، تاريخ الإمبراطورية البيزنطية ، ص٦٣،٦٥

[٣١] ـ القسطنطينية: كانت رومية دار ملك الروم، الحموي، معجم البلدان ، ج٤، ص ٣٤٧.

[٣٢] ـ توفيق ، تاريخ الإمبراطورية البيزنطية ،ص ٦٥

٦١٩ م ، في الوقت الذي كان فيه هرقل الصغير يقود أحد الأساطيل الحربية بقصد الاستيلاء على القسطنطينية والإطاحة بحكم الإمبراطور فوقاس [٣٣] .

أصبحت منطقة شمال افريقية قاعدة منطلق لحركات المعارضة للحكم الروماني في القسطنطينية في أواخر حكمها وقبل الفتح الإسلامي ، و كان للبربر دور بارز في تلك الحركات؛ وبالفعل نجح هرقل الإمبراطور الجديد من القضاء على فوقاس، وأصبح إمبراطورا على الدولة البيزنطية ، كما أصبحت افريقية مركزا لاهتمامه ومحط أمال الإمبراطورية في أشد فترات حياتها ، فعندما احتل الفرس أرمينيا وحاصروا الإسكندرية بقصد منع تزويد القسطنطينية بالرجال والمؤن [٣٤]تولت افريقية أمر المؤن وكانت تزود القسطنطينية بالجنود والأساطيل.[٣٥]

شهدت افريقية في عهد الإمبراطور هرقل عصرا من السلام لم تشهده من قبل ،وتمتع البربر وهم الأكثرية في المنطقة بالكثير من الحرية والاطمئنان، وفي خلال هذه الفترة انتشرت حركة التنصير ، ودخل العديد من السكان البربر في النصرانية وصار ممثلوها من القساوسة والرهبان هم الحكام الفعليين في المنطقة ،وأصبح البابا هو المسئول عن حماية السكان من مظالم الإدارة البيزنطية وقد ازداد نفوذه في البلاد حتى صار يتدخل في الشؤون الإدارية.[٣٦]

[٣٣] -توفيق ،تاريخ الإمبراطورية البيزنطية ، ص٦٦
[٣٤] - توفيق ، تاريخ الإمبراطورية البيزنطية ، ص ٦٧
[٣٥] - توفيق ، تاريخ الإمبراطورية البيزنطية ،ص٦٨
[٣٦] - توفيق ، تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ص ٣٦ ،٣٧

صار البطريرك جريجوريويس (جرجير) (gregorius)[٣٧] حاكما عاما على إفريقية وأعلن عن رغبته في فصل إقليمي برقة[٣٨] وطرابلس[٣٩] عن الإمبراطورية البيزنطية ،وقد أيد سكانها من البربر ذلك خاصة بعد ظهور مذهب المونوثيلية (monotheism)[٤٠] الذي أوجده بطريرك القسطنطينية سيرجيوس (sergius)[٤١] وايده الامبراطور هرقل ، وقد أثار ذلك غضب واستنكار قساوسة افريقية وعلى رأسهم جريجوريوس فأعلن عام ٦٤٦هـ/ ٦٤٦م استقلاله عن الإمبراطورية البيزنطية ونُصب بموافقة الشعب المغربي إمبراطورا فضرب جريجوريوس العملات باسمه وجعل قرطاجنة عاصمة حكمه ،غير انه عندما بدأت حملات المسلمين تصل إلى افريقية وخصوصا بعد سقوط حكم البيزنطيين بمصر ، قرر جريجوريوس نقل عاصمته إلى سبيطلة[٤٢] وسط افريقية[٤٣].

هذا فيما يخص منطقة ساحل افريقية ، أما فيما عداها من الصحاري والمزارع في منطقة السوس الأدنى (السودان) والسوس الأقصى (مراكش)، فالحكم كان بيد البربر[٤٤] ويصفهم ابن خلدون

---

[٣٧] ـ حاكم افريقية البيزنطية والمنتمي لسلالة هرقل

[٣٨] ـ برقة: اسم صقيع كبير يشتمل على مدن وقرى بين الإسكندرية وإفريقية، الحموي، معجم البلدان ، ج١، ص ٣٨٨

[٣٩] ـ طرابلس: وتسمى مدينة إياس وهي تقع على شاطئ البحر المتوسط، الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص ٢٥.

[٤٠] ـ ويقر هذا المذهب ان المسيح جاء بصفة اله وليس كما يقر معظم الكاثوليك انه اظهر كل من طبيعته بإرادة واحدة إلهية وبشرية في ان واحد فسرجيوس ينكر صفة البشرية في المسيح عيسى عليه السلام، توفيق ،تاريخ الإمبراطورية البيزنطية ، ص٧٤،٧٥

[٤١] ـ بطريك القسطنطينية عام ٦١٠م وهو مشهور بالترويج للمسيحية المونوثيليتية.

[٤٢] ـ سبيطلة : مدينة من مدن إفريقية وهي كما يزعمون مدينة جرجير ملك الروم ، الحموي ، معجم البلدان ،٣،ص١٨٧.

[٤٣] ـ مؤنس ، حسين ، فتح العرب للمغرب (الإسكندرية : مكتبة الثقافة الدينية) ص ٧٤،٧٥

[٤٤] ـابن خلدون ،أبو زيد ولي الدين ، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر،(بيروت : دارالفكر) ج ٦، ص ٢٦

بأنهم كانت تغلب عليهم البداوة عند الفتح العربي الإسلامي ، ولم يكن لهم رئيسا يختص بشؤنهم بل كانوا يعيشون حياة قبلية[٤٥].

الأوضاع الدينية في شمال أفريقية قبل الإسلام :

ادخل الرومان الى افريقية الديانة النصرانية وذلك للهيمنة عليها سياسيا واجتماعيا واقتصاديا ودينيا وثقافيا، فاعتنق المغاربة هذه الديانة الجديدة، ورأوا فيها الخلاص من الذل والعبودية والظلم الروماني، وقد أشار إلى ذلك أحد المؤرخين بقوله :" وظل سكان البربر وثنيين مدة من الزمن، واعتنقوا النصرانية قبل مولد محمد عليه السلام بمائتين وخمسين سنة[٤٦] ،ويضيف أحمد توفيق المدني على ذلك بقوله :" ظهرت بالشرق أنوار الديانة المسيحية في أول عهد القياصرة، فاعتنقها جم غفير من الرومان، وتسربت بواسطتهم إلى المغرب، وتوافد إليه عدد كبير من المبشرين[٤٧]، فأعجب المغاربة بهذا الدين المبني على الأخوة"[٤٨]

[٤٥] - ابن خلدون ، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر، ج٦،ص ١٤٩

[٤٦] - الوزان ، حسن ، وصف افريقيا ، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر (بيروت : دار الغرب الإسلامي) ص٦٧

[٤٧] - هناك فرق بين التبشير والتنصير فالتبشر كلمة يطلقونها على انفسهم أنهم يبشرون بالمسيح عليه السلام وفي الحقيقة انهم يبشرون بالنار؛ اما التنصير فهي مأخوذه من لفظ (النصارى) كما ذكرت في القران الكريم وهم عباد الصليب وبذلك تطلق على تلك الحملات التنصيرية الصليبية

[٤٨] - المدني، احمد توفيق ، قرطاجنة في أربعة عصور (الجزائر : المؤسسة الوطنية)ص ١١٣

النصرانية : كان اعتناق النصرانية في شمال إفريقيا صارما فلم يظهر بالمظهر الملائكي الرحيم، بل أن مبتدئها كان مطبوعا بالتشدد، والعنف والتعصب، وقد أعلن الإمبراطور قسطنطين constantinus[٤٩] النصرانية كديانة رسمية للإمبراطورية الرومانية المقدسة سنة ٣١٢م[٥٠]، وما كادت النصرانية تعلن كديانة رسمية حتى فر كثير من معتنقيها من البربر الذين كان سبب اعتناقهم لها أساسا مخالفة للسلطة البيزنطية المستولية على بلادهم، فلما أصبح البيزنطيون أنفسهم يعتنقون النصرانية بدأ البربر يفتشون عن وسيلة للتخلص منها، ووجدوا ضالتهم في إيجاد اختلاف مذهبي داخل الديانة نفسها ، ولهذا فعندما مات أسقف المغرب مانسوريوس mansurious [٥١] وقع الشقاق فيمن يكون خليفته، فترشح لذلك الراهب كايكيليانوس caecelianus[٥٢] لكن أنصار الفتنة أبوا الموافقة على هذا الشخص

[٤٩] ـ كان امبراطورالدولة البيزنطية سميت العاصمة باسم مدينة قسطنطين او القسطنطينية ،توفيق ، الإمبراطورية البيزنطية ،ص ٢٨

[٥٠] ـ المدني ، قرطاجنة في أربعة عصور ،ص ١١٤

[٥١] ـ أسقف قرطاجة في بداية القرن الرابع الميلادي ،توفي سنة ٣١١م في طريق عودته من زيارة روما ، Toulotte(mgr),OP,cit,p84

[٥٢] ـ ظل على راس اسقفية قرطاجنة الى غاية وفاته سنة ٣٣٧م ، Institut Suisse derome1973,p95,453

وكان زعيم المعارضين راهب قرية بربرية يدعى دوناتوس Donatus [٥٣] **له مذهب عرف باسمه وهو ما سيأتي ذكره.**

الدوناتية : أسس هذا المذهب دوناتوس فأقبل عليه السكان الأصليون للتخلص من سلطة الاستعمار الروماني، والتحرر من الظلم والاحتلال والعبودية، وهذا ما جعل البرابرة يعطون لكنيستهم صبغة قومية لتدافع عن مطالب السكان المحليين، ولحمايتهم من تجبر القوات الرومانية، واستغلال طبقة الأرستقراطيين ورجال الدين الكاثوليك الرومانيين، ولهذا كان مذهب القس دوناتوس حركة ثورية دينية واجتماعية وسياسية، قامت بدور تاريخي هام، وقد انشق دوناتوس عن الدين النصراني الذي أراد الإمبراطور البيزنطي فرضه على الشعوب الخاضعة لحكمه، منذ تبنيه له، وقد سبب هذا الانشقاق صدمات قوية، استمرت حتى مجيء الوندال لشمال إفريقية سنة ٤٣٩ [٥٤].

---

[٥٣] - ولد "دوناتوس" في شمال إفريقيا في القرن الثالث الميلادي، ويعتبر من أهم الزعماء البرابرة الذين واجهوا الرومان، وهو أيضا من أهم المدافعين عن العقيدة النصرانية في الوسط المغاربي القديم، وهو قس وراهب واعظ في قرية بربرية، وقد صار فيما بعد أسقفا وزعيما دينيا كبيرا في أفريقية الشمالية، وله أتباع كثيرون يدافعون عن المذهب الذي أسسه نظرية وممارسة، وهو كذلك مؤلف كتاب ديني يحمل عنوان (الروح القدس).une tentative de revolution sociale, OP.cit,p368

المشرفي، محي الدين، **افريقيا الشمالية في العصر القديم**، دار الكتب العربية، الطبعة الرابعة، بيروت، ١٩٦٩، ص ١١١.

[٥٤] - اكنينح، لعربي، في المسألة الأمازيغية، ص ٢٤

ثانياً: الفتح الاسلامي لمصر:

عرف العرب مصر منذ حقب بعيدة وذلك بفضل ما كان بينها وبين شبه الجزيرة العربية من صلات ابرزها الصلة التجارية فقد كانت مصر منذ العصر الفرعوني دولة بحرية تجوب سفنها التجارية البحر المتوسط والبحر الأحمر وهيمنت على التجارة الشرقية ومن المعروف ان الفراعنة شقوا طرقا ملاحية تصل البحر الأحمر بفروع النيل لتسهيل الحركة التجارية ومنها قاموا بالتجارة مع الحجاز واليمن ، لم تكن الطرق البحرية هي الأداة الوحيدة التي تصل مصر بشيه الجزيرة العربية بل كان مضيق السويس أداة اتصال بينهما ، فقد كان في شبه جزيرة سيناء طريق عبده المصريون القدماء يؤدي الى مناجم النحاس فيها وكان هذا الطريق يتصل بشمالي الحجاز ويتقاطع عند تيماء مع الطريق الذاهب الى العراق ويتصل بطريق القوافل المنحدر الى مكة واليمن وهو الطريق التهامي الموازي تقريبا لساحل البحر الأحمر من عدن الى إيلة – العقبة- ومنها الى مصر

كان المصريون يحملون البضائع التجارية الى بلاد العرب ويقيمون فيها ريثما يعودون بتجارة الشرق وكذلك فعل العرب فكانوا يحملون تجارة الشرق الى مصر ويقيمون فيها ريثما يعودون الى بلادهم ومن ابرز القصص والأدلة على ذلك ما ورد في سفر التكوين عن قصة النبي يوسف وقافلة الاسماعليين العرب التي كانت جمالهم تحمل كثيراء وبلسانا ولاذنا فقد جاء في الاصحاح السابع والثلاثين " ثم جلسوا ليأكلوا طعاما فرفعوا عيونهم ونظروا وإذا قافلة

اسماعليين مقبلة من جلعاد وجمالهم حاملة كثيرا وبلسانا ولاذنا ذاهبين لينزلوا بها الى مصر .

وقد أدت تلك الحركة التجارية الى استقرار جالية مصرية في بلاد العرب وإقامة جالية عربية في مصر ويشير بعض الباحثين والمؤرخين الى هذه العلاقة الوثيقة بين مصر والعرب وعلى رأسهم المؤرخ الاغريقي هيرودت الذي اكد لدى رحلته الى مصر قبل الميلاد تواجد العرب من أبناء شبه الجزيرة في مصر سواء من جهة الشمال في سيناء والمناطق المجاورة او من جهة الجنوب في ولايات الصعيد والبحر الأحمر ، ويؤكد الجغرافي ابن حمدان على انه وقبل ظهور الإسلام كانت حركة التجارة والعلاقات والهجرات بلا انقطاع بين غرب شبه الجزيرة العربية ووادي النيل خاصة بين مصر والجزيرة العربية في الشمال وعلى نطاق محلي اصغر انتقلت جالية من صعيد مصر الى مدينة في الحجاز قبل الإسلام حتى استقرت وتوطنت ويقال ان اصل أبنائها هم الذين استقبلوا النبي ﷺ بالترحاب عندما هاجر من مكة الى يثرب

أصبحت مصر ولاية رومانية تابعة لروما منذ سنة ٣١ ق.م حين استولى الرومان عليها وقضوا على حكم آخر سلالة فرعونية فيها وهي السلالة البطلمية الاغريقية وقد استمرت الصلة التجارية بين مصر وشبه الجزيرة العربية قائمة بعد قضاء الرومان على حكم البطالمة في مصر .

ظلت مصر تحت الحكم الروماني ما يزيد على أربعة قرون كانت مصر خلاله مضطربة نتيجة قرون من الاستغلال الروماني فقد

اتصف الحكم الروماني لمصر بالتعسف واستغلال موارد البلاد ففرضوا على المصريين ضرائب متعسفة على الأشخاص والأراضي والصناعات والماشية فضاق المصريون ذرعا بذلك وقاموا بعدة ثورات إلا ان الرومان كانوا يقضون على تلك الثورات في كل مرة .

اعتبرت مصر خلال العهد الروماني صمام الأمان لغذاء العالم وسلة طعامه وفاكهته ، وكانت مصر قادرة على اطعام جميع ولايات العالم الرومي مما جعل الرومان يفرضون على المصريين ضرائب غذائية واشهرها ضريبة القمح والشعير والفول والكتان التي تجبى حسب منسوب النيل وكانت تلك الضرائب لها نظام جشع وصارم وتجمع لصالح الجيش الرومي وقد أشار احد المؤرخون الى ان جباة الضرائب كانوا يستولون على جثث الذين عجزوا عن سداد الضرائب ثم ماتوا حتى يكرهوا اقربائهم على دفع الضرائب التي عجز عن سدادها أولئك الموتى انقاذا للجثث اما زوجات وأطفال من افلس عن سداد الضرائب وهرب فكانوا يساقون الى السجون ويعذبون للاعتراف بمكان معيلهم الهارب وقد أدى ذلك الى هروب الكثير من مدنهم اتقاء من التعذيب .

وفي سنة ٣٩٥م انقسمت الإمبراطورية الرومانية الى قسمين شرقي وغربي فحكم امبراطوران معا واحدا في الغرب وآخر في الشرق وعندما سقط القسم الغربي في أيدي البرابرة الجرمان عام ٤٧٦م ورثت بيزنطة المناطق الشرقية للأمبراطورية الرومانية .

وبعد انقسام الإمبراطورية الرومانية الى قسمين شرقي وغربي تبعت مصر الإمبراطورية الشرقية او البيزنطية التي كان حكمها مباشرا ومستبدا يديره حاكم يعينه الامبراطور .

كان الحكم البيزنطي لمصر ضعيفا فانعدم التوازن بين الحكم المركزي والشعب المصري والسيادة الوحيدة كانت وجود مراكز عسكرية في المدن الكبرى وبعض الحاميات المنتشرة في الداخل.

كانت مصر بوصفها مرتبطة مباشرة بالحكم المركزي تتأثر بما كان يحدث في الإمبراطورية البيزنطية من صراعات ومؤامرات من اجل السلطة فتعرض المصريون لأشد أنواع المضايقات في عهد الامبراطور فوقاس (٦٠٢-٦١٠م) فما حدث في عهده من مؤامرات واغتيالات أدت الى انتشار الفوضى والتفكك البطيء في المجتمع ،وقد تأثرت مصر بذلك فكثر في ارض الصعيد عصابات اللصوص وقطاع الطرق وتم غزوها من قبل البدو واهل النوبة واضطربت أوضاع مصر السفلى واضحت ميدان للشغب والفتن والثورات بين طوائف المجتمع وانصرف الحكام الى جمع المال لخزينة الإمبراطورية بغض النظر عن مشروعية وسائل جمعها او عدم مشروعيتها .

تعرضت الإمبراطورية البيزنطية في تلك الاثناء الى كارثة خطيرة اذ هزمت عسكريا في البلقان وآسيا الصغرى والشام واجتاحتها الجيوش الساسانية ثم شرع الفرس في غزو مصر فسقطت الإسكندرية في أيديهم عام ٦١٩م ومن بعدها أضحت مصر كلها في أيديهم

شعر المصريون آنذاك بحرية لم يعرفوها من قبل اثناء حكم فوقاس فقد ترك لهم الفرس امر الحكم اللامركزي في بلادهم واسقطوا عنهم كثير من الضرائب التي كانت ترهقهم وان ظلوا متعالين عليهم بوصفهم الطبقة الحاكمة

كانت الدولة البيزنطية تسير في طريق الانحدار اثناء حكم فوقاس الا ان حاكم افريقية هرقل الأكبر قام بثورة فانحازت اليه ونجح هرقل في خلع فوقاس وولى مكانه ابنه الأصغر هرقل وبعد ان استتب الامر للإمبراطور الجديد وبفضل الإصلاحات الإدارية والعسكرية تمكن من قتال الفرس واسترد كل ما وقع في أيديهم فاستعاد الشام ومصر .

كان امل المصريون ان يكون الحاكم البيزنطي الجديد ارفق بهم عن من سبقه ويكافئهم على مساندتهم له اثناء حربه مع الفرس الا ان أملهم قد خاب فعاد التعسف من جديد وسعى المقوقس بدعم مركزية الحكم وقمع المذاهب المختلفة عن المذهب الرئيسي للدولة

كانت مصر من البلاد الشرقية التي تسربت اليها النصرانية منذ بداية القرن الميلادي الأول وانتشرت في جميع انحاء البلاد في القرن الثاني للميلاد ، وقد دان اغلب المصريون قبل الفتح الإسلامي بالنصرانية وتبنت الكنيسة القبطية مذهب الطبيعة الواحدة (مونوفيزية) وتسمت باسم الكنيسة الأرثوذكسية ، اما القلة الضئيلة فكانت تدين باليهودية

تبنت كنيسة القسطنطينية مذهب ثنائي الطبيعة ورأت في المسيح طبيعة بشرية وطبيعة إلهية وكان ذلك المذهب هو الرسمي لها وعندئذ قرر المصريون الانفصال عنها واعلنوا التمرد والغوا كنيسة الإسكندرية التي كانت تستخدم اللغة اليونانية في شعائرها وطقوسها واستخدمت بدلا منها اللغة القبطية

تطورت الأمور نتيجة لذلك وحدثت قلاقل دينية عنيفة تعرض فيها المصريون لأشد أنواع الاضطهاد وعندما استولى هرقل على الحكم رأى ان ينقذ البلاد من الخلاف الديني فعهد بالرئاسة السياسية والدينية للمقوقس وطلب منه ان يجبر المصريون على اعتناق مذهب موحد يوفق بين مذهب كنيسة القسطنطينية والكنيسة القبطية .

رفضت الكنيسة القبطية المذهب الجديد رفضا قاطعا فقام المقوقس بالضغط عليهم وخيرهم بين امرين اما الدخول في المذهب او الاضطهاد وقد أدى ذلك الى هرب الكثير من رجال الدين فلجأ المقوقس الى البطش والتعذيب وقاسى المصريون الكثير من الاضطهاد حتى سمى بالاضطهاد الأعظم الذي استمر عشر سنوات مما كان له اكبر الأثر في فتح مصر من قبل المسلمين.

وضعت بيزنطة في مصر وحدات عسكرية كبيرة لحمايتها من أي خطر خارجي وتراوح عدد عناصر كل وحدة بين ثلاثمائة وخمسمائة جندي يرأسها قائد يسمى "التريبون " الذي عرب الى الارطبون ، وتراوح عدد الجيش بأكمله بين خمسة وعشرون الى ثلاثون الفا ،وعلى الرغم من ضخامة الحامية العسكرية في مصر الا ان عملها كان منصبا على قمع الشعب وتحصيل الضرائب

واخماد الثورات ضد الحكام هذا الى جانب ان الجيش لم يكن مدربا بصورة جيدة لكثرت مرابطته في مصر وعدم دخوله في حروب لكسب الخبرات ، والحسنة الوحيدة لأفراد الجيش انه كانت لهم بعض الامتيازات واهمها الاعفاء من الضرائب

اصبح التحاق المصريون بالجندية متنفسا للهروب من الضرائب فدخل في الجندية الكثير من الفلاحين وأصحاب المهن وكان الولاء لبيزنطة معدوما فاصبح الجيش البيزنطي غير مترابطا

كانت مصر أحد اغنى ولايات الإمبراطورية البيزنطية ان لم تكن اغناها مالا وزرعا وخيرات وكانت بيزنطة تراها مصدرا هاما للثراء كما كان الحال زمن الرومان وقد اعتمد الروم على مصر لتزويد الإمبراطورية بالحبوب الى جانب الزجاج والتعدين وورق البردي

استأنف العرب رحلاتهم التجارية الى مصر وبخاصة رحلة الصيف الى الشام حيث كانت بعض القوافل تنحدر عند ايلة .

كون العرب بحكم هذا الواقع التجاري صورة عن أوضاع مصر وقد زاد القرآن الكريم ذلك وضوحا حين تحدث عن غنى هذا البلد " ونادى فرعون في قومه قال يا قوم اليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي افلا تبصرون "

كذلك اثبت بعض الباحثين اشتراك اكثر من عشرة آلاف كلمة بين اللغة المصرية القديمة واللغة العربية مما يدل على ان عرب شبه الجزيرة العربية لم يكفوا عن الخروج منها والتدفق عليها وكانت

صحراء سيناء واطراف الدلتا بالنسبة لهم منطقة انتقال وتأقلم ويؤكد الجغرافي ابن حمدان على ان تعريب مصر سبق الفتح الإسلامي وأنه قديم في مصر قدما ازليا ولذا كان الفتح هو الخطوة الحاسمة

وفي العصر النبوي تنبأ الرسول صلى الله عليه سلم بفتح مصر ورد ذلك في عدة احاديث فقال " تغزون جزيرة العرب فيفتحا الله ثم فارس فيفتحها الله ثم تغزون الروم فيفتحها الله ثم تغزون الدجال فيفتحه الله " ونظرا لأن مصر كانت جزءا من بلاد الروم فقد اخبر الرسول ﷺ بفتح مصر تحديدا ودعا إلى الإحسان إلى أهلها إكراما لهاجر زوجة نبي الله إبراهيم وأم النبي إسماعيل

وفي العصر النبوي وتحديدا في السنة السادسة للهجرة ارسل الرسول ﷺ العديد من المبعوثين الى ملوك وامراء الشرق الأدنى يدعوهم الى الإسلام وكان منهم قيصر الروم والمقوقس قيرس السكندري عامل الروم على مصر وكان حامل الرسالة الى المقوقس حاطب ابن ابي بلتعة وقد ورد فيها بعد بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ "من محمد بن عبد الله ورسوله الى المقوقس عظيم القبط سلام على من اتبع الهدى اما بعد فأني ادعوك بدعاية الإسلام اسلم تسلم يؤتك الله اجرك مرتين فإن توليت فعليك إثم القبط "

كان رد المقوقس على الرسول ﷺ حسنا فكتب الى الرسول ﷺ " من المقوقس عظيم القبط سلام عليك اما بعد فقد قرأت كتابك وفهمت ما ذكرت فيه وما تدعو اليه وقد علمت ان نبيا بقى وكنت اظن انه يخرج بالشام وقد اكرمت رسولك وبعثت لك بجاريتين

لهما مكان في القبط عظيم وبكسوة وهديت اليك بغلة لتركبها والسلام عليك"

اصطفى النبي لنفسه احدى الجارتين وهي مارية القبطية فتزوجها وولدت له إبراهيم وكان يقول "استوصوا بالقبط خيرا فإن لكم منهم صهرا"

وقبل ان يتوفى الرسول ﷺ قال : " الله الله في قبط مصر فإنكم ستظهرون عليهم ويكونون لكم عدة وأعوانل في سبيل الله "

وفي عهدي أبو بكر وعمر بن الخطاب تمت دعوة المقوقس للإسلام مجددا [٥٥] فما كان منه الا ان رد على تلك الدعوة ردا حسنا ، ونظرا لأن مصر كانت تحت حكم الإمبراطورية البيزنطية لذا كان على المسلمين مواجهة البيزنطيين لنشر الإسلام فيها .

قرر الخليفة ابوبكر الصديق بعد حرب المرتدين محاربة دولتي الفرس والروم فأرسل لهما الجيوش ففتح معظم العراق وجزءا كبيرا من ارض الشام مما أدى الى تحالف هرقل امبراطور الروم مع يزدجرد الثالث كسرى الفرس لمجابهة القوات الإسلامية حتى يتراجعون الى شبه الجزيرة العربية وبعد ها يتم التعامل معهم اما عن طريق غزوهم او حصارهم اقتصاديا

نجح الخليفة عمر بن الخطاب في إفشال خطة التحالف فهزم القوات البيزنطية في اليرموك وهزم الفرس في القادسية ودخلت بيت المقدس في حوزة المسلمين وجاء الخليفة عمر بن الخطاب من

[٥٥] - المقريزي ، احمد بن علي ،المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار،(بيروت : دار الكتب العلمية) ج ٢،ص ٨١، ٦٢

المدينة الى الجابية لاستلام مفاتيحها ، و سمح للنصارى بممارسة مذهبهم بكل حرية واعطاهم العهدة العمرية

بعد خسارة بلاد الشام شريان الحياة الاقتصادي ومركز القوى البشرية للبيزنطيين حاول عمرو بن العاص إقناع الخليفة عمر بن الخطاب بغزو مصر لكن الخليفة رفض لكون الحكم الإسلامي في بلاد الشام ما زال حديثا ولكن عمرو بن العاص استمر في محاولاته واقنع الخليفة بأن النفوذ البيزنطي في مصر يمثل تهديدا مستمرا للحكم الإسلامي في فلسطين يضاف الى ذلك ان مصر تعتبر من اغنى الأراضي والاستيلاء عليها فيه نفع للمسلمين الذين سيستفيدون من ثرواتها الهائلة وموقعها الاستراتيجي [٥٦].

استشار الخليفة عمر بن الخطاب الصحابة في ذلك الامر وبعد الحصول على موافقتهم ودعمهم اصدر أوامره بغزو مصر استكمالا لفتح الشام فانسحب الارطبون قائد الروم من الشام واتجه الى مصر لإعادة المقاومة والتمكن من استرداد، ما فقد في بلاد الشام

تحرك الجيش الإسلامي بقيادة عمرو بن العاص و كان تحت قيادته أربعة الآف مقاتل ؛ فتوجه عمرو إلى العريش[٥٧] فأدركه عيد النحر في ١٠ من ذي الحجة سنة ١٩هـ [٥٨]؛ وكان يقود هذا المدد

[٥٦] ـ طقوش ، تاريخ الخلفاء الراشدين الفتوحات والإنجازات السياسية ، ص ٢٩١

[٥٧] ـ العريش : هي مدينة في مصر من ناحية الشام على ساحل بحر الروم في وسط الرمل، الحموي ، تاريخ البلدان ، ج٤ ، ص ١١٣.

[٥٨] ـ البلاذري: احمد بن يحيى، فتوح البلدان ،(بيروت : دار الهلال) ج ١، ص ٢١٠

أربعة من كبار الصحابة : الزبير بن العوام ، وعبادة بن الصامت ، والمقداد بن الأسود ، ومسلمة بن مخلد.[٥٩]

ولما بلغ المقوقس مجيء جيش المسلمين الى مصر ارسل جيشاً لملاقاة عمرو فتلاقيا في الفرما[٦٠] وانتهى الأمر باقتحام المسلمين لها فأمنوا خطوط مواصلاتهم مع الشام كما ضمن لهم اقتحام الفرما وصول الامدادات [٦١].

قرر عمرو أن يكون هدفه الأول بعد الفرما حصن بابليون؛ فهو من أكبر الحصون ويقع على الساحل الشرقي لنهر النيل، وعندما وصل عمر بين العاص بجيشه الى الحصن رأى الروم قد حفروا حول حصنهم خندقاً وجعلوا له أبواباً ونثروا بأفنية الأبواب أعمدة من الحديد لتكون موانع للخيول والرجال . وكان الجيش الذي مع عمر قليل العدد وامامه حصن حصين ؛ إلا ان المسلمين تمكنوا من حصار الحصن الذي تمركز فيه المقوقس وقواته، و استمر حصار المسلمين ل للحصن سبعة أشهر ؛ حتى وصلت الإمدادات للجيش الإسلامي بقيادة الزبير بن العوام ومعه عشرة الاف مقاتل[٦٢] لقنوا فيها الروم دروساً قاسية في الهزيمة [٦٣]؛ حيث استطاع المسلمون ان يصعدوا على اسوار الحصن ويفتحوه [٦٤]؛ فلما سقط الحصن بدا

[٥٩] ـ ابن عبد الحكم، ابي القاسم عبدالرحمن، فتوح مصر واخبارها (بيروت: دار الفكر) ص ١٤٣
[٦٠] ـ الفرما: هي مدينة قديمة في مصر بين العريش والفسطاط، الحموي، تاريخ البلدان ، ج ٤ ، ص ٢٥٦
[٦١] ـ ابن عبد الحكم: فتوح مصر واخبارها ، ص٥٢ـ٥٣
[٦٢] ـ البلاذري، فتوح البلدان ،ج١، ص٢١٠.
[٦٣] ـ الطبري ، أبو جفر محمد بن جرير ،تاريخ الرسل والملوك ، ط ٢ ،(مصر : دار المعارف) ج ٤ ، ص ١٠٢
[٦٤] ـ البلاذري ـ فتوح البلدان ، ج١، ص٢١١

واضحًا حرج موقف الروم أمام عملية الفتح ؛ ولهذا طلب المقوقس الصلح [٦٥].

استشار عمرو أصحابه في ذلك فقالوا: "لا نجيبهم إلى شيء من الصلح ولا الجزية حتى يفتح الله علينا، وتصير الأرض كلها لنا فيئًا وغنيمة كما صار لنا الحصن وما فيه". فقال عمرو: "قد علمتم ما عهد إليَّ أمير المؤمنين في عهده، فإن أجابوا إلى خصلة من الخصال الثلاث التي عهد إليَّ فيها أجبتهم إليها وقبلت منهم، لأن الخندق قد حال بيننا وبين ما نريد من قتالهم "[٦٦] فجنح المسلمون إلى الصلح وتمَّ عقد الاتفاق بين المسلمين والرومان.

ونذكره كما أورده الطبري:"بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. هذا ما أعطى عمرو بن العاص أهل مصر من الأمان على أنفسهم وملتهم وأموالهم وكنائسهم وصلبهم، وبرهم وبحرهم، لا يدخل عليهم شيء من ذلك ولا ينتقص، ولا يسكانهم النوب، وعلى أهل مصر أن يعطوا الجزية إذا اجتمعوا على هذا الصلح وانتهت زيادة نهرهم خمسين ألف ألف، وعليهم ما جني لُصوتُهم (جمع لِصْت، وهو اللص)، فإن أبى أحد منهم أن يجيب رُفِعَ عنهم من الجزاء بقدرهم، وذمتنا ممن أبى بريئة، وإن نقص نهرهم من غايتهم إذا انتهى رُفع عنهم بقدر ذلك، ومن دخل في صلحهم من الروم والنوب فله مثل ما لهم، وعليه مثل ما عليهم، ومن أبى واختار الذهاب فهو آمن حتى يبلغ مأمنه، أو يخرج من سلطاننا، عليهم ما عليهم أثلاثًا في كل ثلث جباية ثلث ما عليهم، على ما في هذا

[٦٥] - البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٢١٢

[٦٦] - السيوطي ،عبد الرحمن بن ابي بكر ، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ،(مصر : دار إحياء الكتب العربية) ط ١ ، ج١، ص ١١٥ ، ١١٦

الكتاب عهد الله وذمته، وذمة رسوله، وذمة الخليفة أمير المؤمنين، وعلى النوبة الذين استجابوا أن يعينوا بكذا وكذا رأسًا، وكذا وكذا فرسًا، على ألا يُغْزَوا ولا يُمْنَعُوا من تجارة صادرة ولا واردة". [٦٧]

خير المقوقس شعبه بين البقاء في الإسكندرية أو الخروج منها إلى أرض الروم ،وكتب إلى ملك الروم يعلمه بذلك ، فرد عليه هرقل يقبح رأيه وعجزه [٦٨]

بعد سقوط حصن بابليون اقام المسلمون به ، ثم كتب عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنهما يستأذنه في الزحف إلى الإسكندرية، فأجابه على ذلك وقد استخلف عمرو بن العاص على ما فتح خارجةَ بن حذافة السهمي، وسار على رأس من معه[٦٩]

خرج عمرو بن العاص بجيش من المسلمين فسمع بذلك الروم ، واستعدوا لملاقاتهم ، وجاءهم مدد من السفن من أرض الروم فيها جموع كثيرة بالعدة والسلاح ؛وتجمع الروم والقبط ببلدة كِرْيُون[٧٠]، وكان حصن كريون آخر سلسلة الحصون قبل الإسكندرية، وقد اعتصم به قائد الجيش البيزنطي مع حامية قوية، إلا أن المسلمون تمكنوا من اقتحامه ففَرّ القائد مع بعض أفراد حاميته وطاردوهم المسلمون حتى بلغوا الإسكندرية فتحصنوا بها [٧١].

[٦٧] ـ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ،ج٤ ، ص ١٠٩
[٦٨] ـ السيوطي، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، ج١، ص ١١٦
[٦٩] ـ البلاذري ـ فتوح البلدان، ج ١، ص ٢١٧
[٧٠] ـ كريون: اسم موضع قرب الإسكندرية، الحموي، معجم البلدان، ج ٤، ص٤٥٨.
[٧١] ـالسيوطي، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، ج١،ص ١١٩

وكانت الإسكندرية حصينة فوضع المسلمون خطة عسكرية ضمنت له النصر في النهاية، وذلك بتشديد الحصار عليها واستدراجهم حتى يخرجوا من تحصيناتهم ، ويدب اليأس في نفوسهم، فيضطرون للخروج للاصطدام بالمسلمين

ونتيجة لذلك الحصار ولاشتداد الصراع في القسطنطينية بين أركان الحكم، انقطعت الإمدادات البيزنطية عن الإسكندرية، إذ لم يعد أحد منهم يفكر في الدفاع عنها، مما أَثَّرَ سلبًا على معنويات المدافعين عنها، فرأوا أنفسهم معزولين ولا سند لهم[٧٢]

كان عمر بن الخطاب في المدينة ينتظر أنباء فتح مصر، وهو أشد ما يكون استعجالاً لنبأ سقوط الإسكندرية في أيدي المسلمين، ولكن هذا النبأ أبطأ عنه أشهرًا، فذهب يبحث عن السبب، وكتب إلى عمرو بن العاص:

"عجبتُ لإبطائكم عن فتح مصر، إنكم تقاتلونهم منذ سنتين، وما ذاك إلا لما أحدثتم، وأحببتم من الدنيا ما أحب عدوكم، وإن الله تبارك وتعالى لا ينصر قومًا إلا بصدق نياتهم" كذلك فقد ابلغه الخليفة عمر بن الخطاب بأنه سيرسل له مددا " وجهت إليك أربعة نفر، وأعلمتك أن الرجل منهم مقام ألف رجل على ما كنت أعرف، إلا أن يكونوا غيَّرَهم ما غيَّر غيرهم" كما طلب منه في كتابه ان يحض المسلمون على قتال العدو وان يرغبهم في الصبر وحدد له والوقت لمجابهة

[٧٢] ـ السيوطي ، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ، ج١ ، ص ١١٩

العدو " وليكن ذلك عند الزوال يوم الجمعة، فإنها ساعة تنزل الرحمة، ووقت الإجابة، وليعجّ الناسُ إلى الله ويسألوه النصر على عدوهم"[٧٣]

جمع عمرو الناس، وقرأ عليهم كتاب الخليفة عمر ، ثم دعا أولئك النفر، فقدمهم أمام الناس، وأمر الناس أن يتطهروا ويصلوا ركعتين، ثم يدعو الله عز وجل ويسألوه النصر؛ ففعلوا ففتح الله عليهم[٧٤]

وكانت هذه اخر المعارك في مصر والتي حررتها من الاحتلال البيزنطي في عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

ثالثاً : الفتوحات في عهد الخلفاء الراشدين في افريقية:

اولاً: في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه :

حملة عمرو بن العاص عام ٢٢ هـ/ ٦٤٣ م:

يعتبر الفتح الاسلامي لبلاد المغرب نتيجة حتمية اقتضتها طبيعة الحركة الاسلامية التي كانت تهدف الى نشر الدين الاسلام و توسيع امتداد الدولة الاسلامية من الناحية الغربية، و تصفية الإمبراطورية البيزنطية المعادية للإسلام، خصوصا وان بلاد المغرب آنذاك كانت ولاية من الولايات التابعة لها ، بالإضافة الى ذلك أن الفتح جاء تامينا لفتوحات مصر .

حملة عمرو بن العاص على برقه[٧٥]:

لقد بدأت محاولات المسلمين لفتح المغرب في عهد الخليفة الراشدي الثاني عمر بن الخطاب – رضي الله عنه [٧٦]

---

[٧٣] - السيوطي ، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ، ج ١، ص ١٢٠

[٧٤] - السيوطي ، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ، ج ١، ص ١٢٠

[٧٥] - البلاذري، فتوح البلدان ،ص٢٢١؛ برقة : اسم صقيع كبير يقع بين الإسكندرية وإفريقية ويشتمل على مدن وقرى ، الحموي ، معجم البلدان ،ج١، ص٣٨٨

فبعد أن فتح عمرو بن العاص مصر وجه عقبة ابن نافع الفهري[٧٧] إلى لوبية[٧٨] وافريقية ولا يستبعد أن تكون حملة عقبة بن نافع هذه عبارة عن سرية استطلاعية وأنها هي التي جعلت عمرو بن العاص يمكث بقية سنة ٢١ه/١٤١م في الإسكندرية [٧٩]

توجه عمرو بن العاص الى برقة ، وقد دار بين المسلمين وأهلها قتال اضطر فيه اهل برقة اللجوء الى مدينتهم حيث حاصروهم المسلمين حتى طلبوا الصلح [٨٠]على ثلاثة عشر الف دينار يؤدونها جزية على أن يبيعوا من أبنائهم في جزيتهم ما أحبوا بيعه و على هذا تم فتح المسلمين لبرقة.[٨١]

وقد أشار ابن سلام لذلك بقوله " صالح عمرو بن العاص أهل انطابلس -وهي من بلاد برقة بين افريقية و مصر – على الجزية ،على ان يبيعوا من أبنائهم ما احبوا في جزيتهم" [٨٢] ، وذكر " ان عمرو بن العاص كان كتب على لواته من البربر من اهل برقة في شرطه عليهم : ان عليكم ان تبيعوا أبناءكم وبناتكم فيما عليكم من الجزية "[٨٣]، ونلاحظ ان المصادر لم تذكر نص الصلح كاملاً فلم تذكر الا مقدار الجزية وبند واحد من بنود الصلح .

وبالرغم ان الشريعة الإسلامية جاءت للقضاء على الرق والحرص على تحرير الممالك وذلك في قولة تعالى ((فلا اقتحم العقبة **ومآادراك مالعقبة ** فك رقبة)) [٨٤] وايضاً عن ابي هريرة رضي

---

[٧٦]- ابن الاثير ، عز الدين أبو الحسن ،الكامل في التاريخ ،تحقيق ابي الفداء عبد الله ، (بيروت: دار الكتب العلمية) ، ج٣،ص٢٥.

[٧٧] - هو عقبة بن نافع بن عبد القيس بن عامر ولاه عمر بن العاص إفريقية لما كان في مصر ، وهو من بنى القيروان، ابن الاثير ، عز الدين أبو الحسن ، أسد الغابة في معرفة الصحابة (بيروت : دار الكتب العلمية)ج٤ ، ص ٥٧

[٧٨] - لوبية : مدينة بين الإسكندرية وبرقة ، الحموي ، معجم البلدان ،ج٥، ص ٢٥

[٧٩] - ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج٣، ص ١٧

[٨٠] - البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٢٢١

[٨١] - البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٢١١؛ ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج٣ ص ٢٦.

[٨٢] - بن سلام، أبو عبيد القاسم ، الأموال (بيروت : دار الفكر)ص ١٩٢، ١٩٣

[٨٣] بن سلام ، الأموال ، ص ٢٤٠

[٨٤] - سورة البلد ، اية ١٣،١٢،١١

الله عنه قال: قال لي رسول الله صلى الله علية وسلم ((من اعتق رقبة مسلمة ، اعتق الله بكل عضو منه عضواً منه من النار)) [٨٥] الاننا نجد المصادر ذكرت لنا هذا الشرط في عهد الخلفاء الراشدين وهذا ما جعل من الصعب نفيه فقد دارت حوارات من الباحثين المحدثين حول هذا البند حيث اعتبروا ان هذا ليس غريبا لدى البربر وسكان الشمال الافريقي وربما هم من طلبوا من المسلمين ذلك كما كان يفعلون مع الحكومة البيزنطية[٨٦]، ولم يكن ببرقة يومئذ جابي خراج وانما كانوا يبعثون بالجزية اذا جاء وقتها وهذا دليل على حسن طاعتهم .[٨٧]

ومما يبدوا أن أهل برقة كانوا ساخطين على حكامهم البيزنطيين لظلمهم فرأوا في قدوم المسلمين خلاصا لهم من سطوتهم ، ولعل سلطة البيزنطيين في ذلك الوقت لم تكن قوية و هذا ما يفسر عدم مقاومة سكان برقة لجيش عمرو بن العاص، و هذه النقطة تعتبر عاملا مهما من العوامل التي ساعدت الجيش الإسلامي في فتح برقة بدون عناء.

بعد فتح برقة أرسل عمرو بن العاص عقبة بن نافع إلى زويلة[٨٨] ففتحها صلحا ولم تذكر المصادر نص ذلك الصلح ولا شروطه ماعدا اشاره للبلاذري ذكر فيها ان الجزية كانت على قدر الطاقة [٨٩]، وبذلك صار ما بين برقة و زويلة للمسلمين ، فكتب عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطاب يعلمه أنه قد ولى عقبة بن نافع الفهري على المغرب ، و أن ما بين برقة و زويلة أصبحت كلها تحت طاعتهم ، و أدى مسلموهم الصدقة و أقروا بالجزية التي تؤخذ من

[٨٥] - البخاري ، صحيح البخاري ، ج٨ ، ص ١٤٥
[٨٦] - مؤنس ، فتح العرب للمغرب ،ص ٥٦
[٨٧] - البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٢٢٢
[٨٨] - زويلة: من اطرابلس تقع في الأجزاء الجنوبية الشرقية من المغرب الشرقي ، الحموي ، معجم البلدان ، ج ٣، ص ١٦٠
[٨٩] البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٢٢٢

اهل الذمة[٩٠] فتحمل اليه بمصر ، و أن يؤخذ من ارض المسلمين العشر و نصف العشر ومن اهل الصلح صلحهم .[٩١]

وبعد أن خضعت مدينة برقة للجيش الإسلامي تابع عمرو بن العاص سيره مع الطريق الساحلي القديم مستهدفا مدينة طرابلس[٩٢]، حتى وصل الى أجدابية ففتحها صلحاً على خمسة الآف دينار تدفع للمسلمين وقد أسلم معظم أهلها [٩٣].

واصل عمرو بن العاص تقدمه نحو طرابلس المدينة المحصنة التي تحتوي على العديد من الحصون ، وتحيط بها الاسوار من جميع الجهات شرقا، وغربا، وجنوبا إلا ناحية الشمال التي كانت مطلة على البحر، فلما رأى عمرو تلك الحصون المنيعة والأسوار الحصينة اختار موقعا من ناحية الشرق ورابط فيه، وكان يرسل طلائعه تلك إلى الأسوار لعلهم يجدون مدخلا إلى المدينة.[٩٤]

استمر عمرو بن العاص في رباطه وحصاره لمدينة طرابلس قرابة الشهر أو يزيد، واختلفت المصادر حول فتح طرابلس اكان صلحا أوعنوة ، فقد ذكر ابن خياط " افتتح عمرو بن العاص طرابلس صلحاً"[٩٥]وذكر البلاذري أن عمرو بن العاص نزل طرابلس في سنة اثنتين وعشرين فقاتل أهلها ثم افتتحها عنوة "[٩٦]، والباحثة ترجح فتحها عنوة ولعل التشابه بين مسمى طرابلس و مدينة انطابلس التي فتحت صلحا جعل الأمر يختلط على الرواة فاعتقدوا انها فتحت صلحا .

---

[٩٠]- اليهود والنصارى، أو هم الأشخاص الذين يقتنون ديانات أخرى غير الإسلام ويعيشون في ظل الدّولة الاسلامية

[٩١]- البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٣١٥

[٩٢]- هي مدينة تقع على ساحل البحر المتوسط ، الحموي ، معجم البلدان ، ج٤،ص٢٥

[٩٣]- أجدابية : هي بلدة بين برقة وطرابلس بينها وبين زويلة مسيرة شهراً على الاقدام ، الحموي ، معجم البلدان ، ج١، ص ١٠٠

[٩٤]- مفتاح ، صالح مصطفى ، ليبيا منذ الفتح العربي حتى انتقال الخلافة الفاطمية الى مصر ،ط١(ليبيا : الشركة العامة للنشر) ، ص٣٢-٣٣

[٩٥]- بن خياط ، أبو عمرو خليفة ، تاريخ خليفة بن خياط (بيروت : مؤسسة الرسالة)ص ١٥٢

[٩٦] البلاذري ، فتوح البلدان ،ص ٢٢٣

وقبل مغادرة عمرو بن العاص مدينة طرابلس قام بتثبيت اركان الحكم فيها، وتأمينها ضد هجمات الروم الخارجية، حيث هدم بعض اسوار المدينة مخافة تحصن الأهالي ومقاتلة المسلمين عند مغادرتهم لمدينة طرابلس[٩٧].

لما انتهى عمرو بن العاص من فتح طرابلس عزم على مباغتة مدينة صبرة [٩٨]، قبل ان تسمع بفتح طرابلس، فأرسل جيشا بقيادة عبد الله بن الزبير [٩٩]إليها فدخلها على حين غفلة من اهلها، وكان ذلك في الصباح الباكر وقت فتح أبوابها حيث اطمئنوا بعد امتناع مدينة طرابلس واخرجوا الماشية منها لترعى خارج السور وقد تمكن من فتحها .[١٠٠]

وبعد ان تمكن المسلمين من فتح طرابلس وصبرة كتب عمرو بن العاص الى الخليفة عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- يقول: «إن الله قد فتح علينا طرابلس وليس بينها وبين إفريقية إلا تسعة أيام، فإن راي أمير المؤمنين أن يغزوها، ويفتحها الله على يديه فعل)[١٠١]

كانت مدينة شروس [١٠٢] قريبة جدا ل من مدينة صبرة، لذا حاول عمرو بن العاص رضي الله عنه- أن يجتهد في فتحها قبل وصول رد خليفة المسلمين عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-، فتقدم إليها وما زال بها حتى فتحها، ولكن ما إن فتحها حتى جاءه رد خليفة المسلمين عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-: بالرفض وقد ذكر في كتابه أنها ليست بإفريقية ولكنها المفرقة، غادرة مغدور بها، لا يغزوها أحد ما بقيت»).[١٠٣]

---

[٩٧] - مصطفى – ليبيا منذ الفتح العربي ، ص ٣٦

[٩٨] - بلد قريب من القيروان وتسمى المنصورية ، الحموي ، معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٣٩١

[٩٩] - هو عبدالله بن الزبير بين العوام هو صحابي وابن الصحابي الزبير بين العوام، ابن الاثير ، أسد الغابة في معرفة الصحابة ، ج٣ ، ص ٢٤١

[١٠٠] - مصطفى – ليبيا منذ الفتح العربي ، ص ٣٥

[١٠١] - البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٢٢٣

[١٠٢] - مدينة تقع في جبل نفوسة من ناحية افريقية وبينها وبين طرابلس خمسة أيام ، الحموي ،معجم البلدان ، ج٣، ص٨٥

[١٠٣] -البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٢٢٣

ومن خلال رد الخليفة عمر بن الخطاب نعي أن مدينة شروس هي أخر ما وصل اليه عمرو بن العاص في أول مرحلة من مراحل الفتح الاسلامي لبلاد المغرب و قبل أن يعود الى مصر عين عقبة بن نافع حاكما على برقة ونجد ان الفتوحات في افريقية في عهد عمر بن الخطاب - رضي الله عنه- قد توقفت بعد فتح مصر حيث لم يأذن لعمرو بن العاص التوغل بجيوش المسلمين قبل رسوخ حكمهم و قوتهم في مصر، و اكتفى عمرو بن العاص بتامين حدود مصر من الناحية الغربية .

ويلاحظ ان حملات عمرو بن العاص في المنطقة لم يكن هدفها الاستقرار ولم ينتج عنها معارك حاسمة ،ولذا بقى سكانها على عقائدهم وعلى ولائهم للبيزنطيين [١٠٤]،

ثانياً:الفتوحات الإسلامية في عهد الخليفة عثمان بن عفان-رضي الله عنه-:

حملة (العبادلة) عام ٢٦ه-٦٤٧م:

بعد ان مهد المسلمين لافتتاح افريقية بالاستيلاء على برقة وطرابلس توقفت الفتوحات الإسلامية في افريقية لحاجة المسلمين لفترة هدوء يثبتون فيها اقدامهم في مصر والبلاد المفتوحة يضاف الى ذلك مقتل الخليفة عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- [١٠٥]، ولكن العزم تجدد بولاية الخليفة عثمان بن عفان ذي النورين [١٠٦]٢٣-٣٥هـ/٦٤٤-٦٥٦م

رجع عمرو بن العاص إلى مصر والذي كان واليا عليها ، وبعد أن تولى عثمان بن عفان رضي الله عنه خلافة المسلمين عزله عن

---

[١٠٤] لقبال ، موسى ، المغرب الإسلامي ،(الجزائر : الشركة الوطنية للنشر) ، ص ١٩

[١٠٥] - طعن الخليفة عمر بن الخطاب بخنجر أبو لؤلؤه المجوسي وهو يصلي الفجر بالناس ، الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٤، ص ١٩٠\١٩١

[١٠٦] - عثمان بن عفان بن العاص بن امية بن عبد شمس ، سمي بذي النورين لأنه تزوج ابنتي رسول الله محمد علية الصلاة والسلام حيث تزوج رقية وبعد وفاتها تزوج ام كلثوم ، الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٤ ، ص٤٢٠

ولاية مصر عام ٢٥هـ/٦٤٦م [١٠٧] وعهد بولايتها الى عبدالله بن سعد بن أبي سرح [١٠٨] الذي كان اليد اليمنى لعمرو بن العاص في فتوحاته الشامية والمصرية [١٠٩]، ولما تولي عبد الله بن ابي السرح على مصر كان يرسل فرق من المسلمين تقوم ببعض الغارات على اطراف افريقية وتحصل على الغنائم والسبايا والأموال [١١٠] وكان القصد من تلك الغارات هو معرفة وضع إفريقية تمهيدا لفتحها ، وهي أشبه ما يكون بكتائب الاستطلاع التي تعتبر مقدمة الجيش وعيونه ، وكتب عبد الله بن ابي السرح إلى الخليفة عثمان بن عفان بقرب إفريقية من بلاد المسلمين، واستأذنه في غزوها واستشار عثمان من عنده من الصحابة، فأشار أكثرهم بالإقدام على غزوها فكتب له بأمر غزوها عام ٢٦هـ/٦٤٧م ، ووعده بأنه في حالة الانتصار فلهو ولجنوده الفيء خمس الخمس [١١١] .

دعا عثمان للجهاد تحت قيادة عبد الله بن ابي السرح ، وقد ظهر الاهتمام بأمر تلك الغزوة جليا ، فقد خرج في تلك الغزوة كبار الصحابة، و شباب آل البيت، وأبناء المهاجرين الأوائل، و الأنصار، وخلق كثير كان منهم عبد الله بن عباس [١١٢]، وعبد الله بن عمر بن الخطاب [١١٣]، وعبد الله بن ابي بكر الصديق [١١٤] واخوه عبدالرحمن [١١٥]، وعبد الرحمن بن زيد بن الخطاب [١١٦]،وعبد الله بن

---

[١٠٧] - ابن تغري ، أبو المحاسن جمال الدين ،النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ،(مصر : دار الكتب) ج١ ، ص٦٥

[١٠٨] - - هو عبد الله بن سعد بن أبي سرح يكنى أبا يحيي وامه مهانة بنت جابر من الاشعريين ارضعت الخليفة عثمان بن عفان فهو اخوه من الرضاعة ، ابن سعد ، هو محمد بن سعد بن منيع ، الطبقات الكبرى (بيروت :دار صادر)،ج٣ ، ص ٤٠٧

[١٠٩] - ابن تغري ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ج١ ، ص٦٦

[١١٠] - البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٢٢٣

[١١١] - ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج٢، ص ٤٦٢

[١١٢] -عبدالله بن عباس بن عبدالمطلب القرشي الهاشمي ، يكنى بابو العباس : حبر الامة ، الزركلي ،خيرالدين بن محمود ، الاعلام (بيروت : دار العلم للملايين)، ج٤، ص٩٥

[١١٣] - عبد الله بن عمر بن الخطاب بن نفيل القرشي العدوي يكنى أبو عبدالرحمن ، ابن حجر ،أبو الفضل احمد العسقلاني ، الإصابة في تميز الصحابة ،ط١(بيروت : دار الكتب العلمية) ج٤ ، ص١٥٥

[١١٤] - عبدالله بن عبدالله بن عثمان التيمي القرشي ،ابن حجر ، الإصابة في تميز الصحابة ، ج٤،ص٢٤

[١١٥] -عبدالرحمن بن عبدالله بن ابي قحافة ،ابن حجر ، الإصابة في تميز الصحابة ، جص٤،٢٤٦

[١١٦] - عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب القرشي العدوي وهو ابن اخي عمر بن الخطاب ، ابن الاثير ، اسد الغابة في معرفة الصحابة ،ج٣ ، ص ٤٤٦

عمرو بن العاص[١١٧]، وعبد الله بن الزبير[١١٨]، وعبد الله بن جعفر[١١٩]، وذكر ابن خلدون ان من ضمن المشاركين الحسن والحسين أبناء علي بن ابي طالب رضي الله عنهم [١٢٠]، لذلك سمي هذا الجيش بجيش العبادلة لوجود اغلب من سمي " عبد الله " من كبار الصحابة، وسار عبد الله بن سعد بجيشه البالغ تعداده عشرين ألفا[١٢١]،وأُرسلت تعزيزات من المدينة المنورة كانت بقيادة الحارث بن الحكم[١٢٢] الذي امره الخليفة بان يسلم القيادة الى عبدالله بن ابي السرح حين وصوله الى مصر[١٢٣].

حملة عبد الله بن ابى السرح (٢٧ه /٦٤٨م):

سار عبد الله بن سعد بن ابي السرح إلى إفريقية، فلما وصل جيش المسلمين إلى برقة لقيهم عقبة بن نافع ومن معه من المسلمين فساروا جميعا إلى طرابلس فقاتلوا من عندها من الروم ،وواصل الجيش تقدمه إلى مدينة سبيطلة[١٢٤] ، وهناك التقى جيش المسلمين بقيادة عبد الله بن ابي السرح ، وجيش جريجوريويس (جرجير) (gregorius) حاكم افريقية [١٢٥]،الذي سمع بوصول جيش المسلمين فجهز جيش كان تعداد حوالي مائة وعشرين ألفا[١٢٦]، فعرض عليه المسلمون الإسلام او الجزية فأبى ذلك، فبدأت المعركة بلقاء الجيشان في مكان يبعد عن سبيطلة يوم وليلة ،وفي تلك الأثناء انقطعت اخبار المعركة عن الخليفة

---

[١١٧] -عبدالله بن عمرو بن العاص القرشي كنيته أبو محمد ، ابن حجر ، الإصابة في تميز الصحابة ، ج٤ ، ص ١٦٥

[١١٨] -عبدالله بن الزبير بن الاسدي ، ابن الصحابي الزبير بن العوام ، الزركلي ، الاعلام ، ج٤ ، ص ٨٧

[١١٩] - أبو جعفر عبدالله بن جعفر بن ابي طالب ، يقال انه لم يكن بالإسلام اسخى منه ، الكتبي ، محمد بن شاكر ، فوات الوفيات (بيروت : دار صادر) ج٢ ، ص ١٧٠

[١٢٠] -ابن خلدون ، ديوان المبتدأ والخبر ، ج٢ ص ٢٠٥، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ،ج٣ ،ص ٤٥.

[١٢١] - ابن عبد الحكم ، فتوح مصر واخبارها ، ص١٢٥

[١٢٢] - هو الحارث بن الحكم بن ابي العاص الاموي اخو مروان بن الحكم ،

[١٢٣] -ابن عبدالحكم ، فتوح ومصر واخبارها ، ص٢١٠

[١٢٤] - مدينة من مدن افريقية وهي كما يزعمون مدينة جرجير الملك البيزنطي ، الحموي ، معجم البلدان ، ج٣ ، ص١٨٧

[١٢٥] - ملكه من طرابلس الى طنجة وكان هرقل ملك البيزنطين قد ولاه افريقية ، ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ،ج٢،ص٤٦٣

[١٢٦] - ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ،ج٢،ص٤٦٣

عثمان فقام بتجهيز مدد بقيادة عبدالله بن الزبير لاستقصاء خبر المعركة وعندما سمع البيزنطيين بذلك قاموا بالالتفاف حول المسلمين واما جرير فقد استعمل ابنته حيث جاء بها الى ارض المعركة هي وجواريها ووعد من يقتل والي المسلمين عبدالله بن ابي السرح فسيزوجه ابنته ويعطيه ما معها من الجواري .[١٢٧]

تقاتل الفريقان عدة أيام انتهت بانتصار المسلمين وقتل جريجوريويس (جرجير) (gregorius) [١٢٨]على يد عبدالله بن الزبير الذي استطاع ان يخترق صفوف العدو وغنم المسلمون غنائم كثيرة [١٢٩].

بعد أن تمكن المسلمون من فتح سبيطلة ودخولها توجه عبدالله بن ابي السرح بجيشه الى حصن الأجم[١٣٠]وحاصره فطلب الأهالي المحتمين في الحصن الصلح والأمان فوافق وعقد الصلح مقابل دفع جزية مقدارها ألف وخمسمائة ألف دينار [١٣١].

اما بقية المناطق التي كان يسكنها البيزنطيين والتي أصبحت تحت حكم المسلمين فقد طلبوا الصلح والأمان مقابل ان يخرجوا من ديارهم [١٣٢]، و من بقى منهم تعهدوا بدفع جزية قدرت بثلاثمائة قنطار من الذهب [١٣٣] في كل عام ، فقبل ذلك منهم وقبض المال، وكان في شرط صلحهم" أن ما أصاب المسلمون قبل الصلح فهو لهم، وما أصابوه بعد الصلح ردوه عليهم"[١٣٤] .

---

[١٢٧] - ابن عذاري،ابو عبدالله محمد، البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب ،ط٣(بيروت : دار الثقافة)، ج١ ، ص١٠

[١٢٨] - ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ،ج٢، ص ٤٦٤

[١٢٩] - مؤنس ، فتح العرب للمغرب ، ص٩٦

[١٣٠] - حصن منيع من نواحي إفريقية ، الحموي ، معجم البلدان ، ج٤، ص ٢٣٦

[١٣١] - الطبري، تاريخ الرسل والملوك ، ج٤ ، ص٢٥٦

[١٣٢] - ابن عبد الحكم ، فتوح مصر واخبارها ، ص١٨٣،١٨٦

[١٣٣] -ابن عذاري ، البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب ، ج١،ص ١٠،١٣

[١٣٤] - ابن عذاري ، البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب ، ج١،ص ١٢

وانصرف عبد الله بن ابي السرح عائدا إلى مصر بعد أن أقام بإفريقية سنة وثلاثة أشهر[١٣٥]،وقسم الغنائم فأخذ خمس الخمس كما امر الخليفة وارسل الى المدينة أربعة اخماس ،كما ارسل عبدالله بن الزبير ببشارة الانتصار الى الخليفة عثمان ، اما موقف هرقل من هذا الصلح فقد ارسل الى هذه المناطق يطالبهم بان يدفعوا له كما دفعوا للمسلمين ثلاثمائة قنطار من الذهب باعتبار ان هذه المناطق كانت تابعه له فرفضوا وقالوا نحن نؤدي ما كان يؤخذ منا ولقد افتدينا به أنفسنا [١٣٦].

وبعقد الصلح مع اهل افريقية فأن المسلمين قد امنوا حدود مصر وبرقة، و بعد توجه عبد الله بن أبي سرح الى مصر في ٢٨هـ/٦٤٨م،تجنب المسلمين اي اشتباكات مباشرة مع القوى البيزنطية ولا سيما انهم كانوا منشغلين بفتوحاتهم في بلاد المشرق.

حملة معاوية بن حديج الاولى عام عام ٣٣هـ/ ٦٥٣م

اختلف العلماء حول حقيقة هذه الحملة ونفوا وقوعها وذلك بسبب الفتنة في عهد الخليفة عثمان -رضي الله عنه[١٣٧]،وان مصر على وجه الخصوص كانت مركزاً من مراكز السخط على الخليفة [١٣٨] ، بينما يرى اخرون انه فعلاً هناك ظروف تعيشها الدولة الإسلامية غير ملائمة لتلك الحملة لكن الأوضاع في شمال افريقية تحتم ان يعيد الخليفة النظر في ذلك وانه لا يمكن للفتنة ان تقف في وجه نشر الإسلام [١٣٩].

---

[١٣٥] - ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج٢ ،ص ٤٦٤

[١٣٦] -ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج٢ ،ص٤٦٥

[١٣٧] - كان سبب الفتنة رجل يدعى عبدالله بن سبأ وهو منافق استغل الفتوحات الإسلامية والتوسع الكبير في الأراضي ودخول عدد من سكانها الإسلام وكانوا حديثي العهد بالإسلام فاخذ ينشر كلام عن الخليفة وعن الظلم في عهدة فانتشرت الشكوى والتظلم من الولاة حتى اجتمع الثوار عند باب عثمان واستطاعوا الدخول وقتلة ، الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ،ج٤ ، ص٣٦٤

[١٣٨] -ابن تغري ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ج١، ص ١١٨

[١٣٩] -البرغوثي ،عبداللطيف محمود ، تاريخ ليبيا الإسلامي ،(بيروت: دار صادر) ص٥٢

لم تعق الفتنة في عهد الخليفة عثمان بن عفان من ارسال حملة الى افريقية ، ولكن انشغال الناس بأمر الفتنة منعت المسلمين في المدينة من متابعة تطوراتها [١٤٠]وقد وقعت أحداث الحملة عندما سمع البربر بالفتنة اعتقدوا ان الوقت حان لمهاجمة المسلمين فنقضوا الصلح ، [١٤١]فلما بلغ عبد الله بن ابي السرح هذا الامر ، أرسل إليهم معاوية بن حديج[١٤٢] فانطلق ومعه عدد من المهاجرين والانصار[١٤٣]، كان منهم عبد الملك بن مروان[١٤٤] وعقبة بن نافع وكان معاوية بن حديج عارفاً بشؤون افريقية و طبيعة ارضها بسبب مشاركته مع ابي السرح [١٤٥].

وكانت هذه الحملة موفقة حيث لم تقاوم كلا من بسرت [١٤٦]وطرابلس فلم تحاول أي منهما أن تعترض مسيرتهم في حين قاومت مدينة بنزرت[١٤٧] ، وحاصرها المسلمون وفتحوها بعد قتال دار بين الجانبين انتهى بفتحها وفتح مدن أخرى حولها وغنم المسلمين الكثير من الغنائم ووزعت على الجيش بعد أن أعطي عثمان - رضي الله عنه - الخمس [(١٤٨)] .

وكان من نتائج هذه الحملة :

-الحد من الهجوم البربري على الحدود الإسلامية المصرية .

- عودة البربر لدفع الجزية السنوية المتفق عليها في الصلح وهي (ثلاثمائة قنطار من الذهب) .

---

[١٤٠] - ابن عبد الحكم ، فتوح افريقية والاندلس ، ص٤٩

[١٤١] - الطبري ، تاريخ الرسل ، ج٤، ص ٣١٧؛ ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج٣، ص١٣٧

[١٤٢] - هو معاوية بن حديج بن جفنة السكوني ، صحب النبي وروى عنه الحديث ، الزركلي ، الاعلام ، ج٧،ص ٢٦٠

[١٤٣] -ابن عبد الحكم ، فتوح افريقية والاندلس، ص٢٦٠

[١٤٤] - عبد الملك بن مروان بن الحكم بن ابي العاص ، خامس خلفاء بني امية ، الزركلي ، الاعلام ،ج٤ ، ص ١٦٥

[١٤٥] - ابن عبد الحكم ، فتوح افريقية والاندلس ، ص٢٦٠

[١٤٦] - مدينة على ساحل البحر الأبيض المتوسط بين برقة وطرابلس ، الحموي ، معجم البلدان ، ج٣ ، ص ٢٠٦

[١٤٧] - مدينة مشرفة على البحر المتوسط بها نهر كثير الحوت ، الحموي ، معجم البلدان ، ج ١ ،ص ٥٠٠

[١٤٨] -ابن عبد الحكم ، فتوح افريقية والأندلس ، ص ٤٦.

- ومن الجانب النفسي فقد أدخلت الرعب في قلوب البربر واشعرتهم بقوة المسلمين والإسلام .
- منعت الروم من الهجوم على المسلمين وفاً منوا على انفسهم وممتلكاتهم [١٤٩] .

توقفت حركة الفتح الإسلامي في افريقية بسبب استشهاد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه ،ثم تولى الخلافة علي بن ابي طالب رضي الله عنه الذي اتسم عهده بالحرب بينه وبين معاوية بن ابي سفيان ثم استشهد ، وبعد استشهاده تنازل اينه الحسن بن علي بالخلافة حقنا لدماء المسلمين واطلق على ذلك العام بعام الجماعة الذي قامت بعده الدولة الاموية .

عين معاوية بن ابي سفيان على افريقية معاوية بن حديج سنة٤٥هـ/٦٦٥م وأمره بمواصلة الفتح [١٥٠]

كان الشمال الافريقي في العهد الراشدي دار عهد حيث ان المسلمين افتتحوها عنوة وعقد أهلها الصلح بينهم وبين المسلمين على شي يؤدونه على أراضيهم يسمى " خراجاً" ومن خلال هذه الفتوحات ومعاهدات الصلح نعرف حقوق وواجبات الطرفين المتعاهدين .

واجبات المسلمين نحو المعاهدين :

- عصمة أموالهم ودمائهم وممتلكاتهم من أي اعتداء عليهم
- حمايتهم والدفاع عنهم من أي عدوان خارجي
- احترام حرياتهم السياسية والدينية الا فيما يتعلق بنشر الإسلام بالإقناع والحجة والبرهان.

[١٤٩] - البرغوثي ، تاريخ ليبيا الإسلامي ، ص٥٢

[١٥٠] - ابن عذاري ، البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب ، ص ١٥

اما الواجبات المطلوبة من المعاهدين:

- عدم محاربة المسلمين او التحالف ضدهم
- السماح بنشر الإسلام بينهم
- تمكين المسلمين من أداء الشعائر الدينية علناً
- أداء ما تم الاتفاق علية من أموال لبيت مال المسلمين [١٥١]

والجدير بالذكر انه يمكن ايضاً اعتبار ان الفتوحات في العهد الراشدي هي طلائع للفتوحات الإسلامية ، حيث ان المسلمين لم يقوموا بشيء في افريقيا حتى أيام معاوية بن ابي سفيان،[١٥٢] ويستثنى من ذلك التحالف بين المسلمين والبربر سكان شمال افريقيا الذين وافقوا على حماية المسلمين من الغزو البيزنطي مقابل توقفهم عن أداء الجزية [١٥٣]

و من اهم الاثار المترتبة على ابرام هذه المعاهدات بشكل خاص والفتوح الإسلامية بشكل عام هو اندماج العنصر البشرى في المدن التي تم فتحها ،حيث حمل الاسلام الى الفرد استقلال شخصيته فهو حر لا يرتبط لا بمعبد او كنيسة او كاهن ، على عكس البيزنطيين الذين يحددون ضمنيا مجالا جغرافيا للبربر معدم امتزاجهم بسكان بلاد افريقية ، فالبيزنطيون أحاطوا أنفسهم بالقلاع ومع الفتح الاسلامي فتحت ابواب المدن في وجه السكان المحليين . [١٥٤]

[١٥١] -وهبة - احكام المعاهدات في الشريعة الإسلامية ، ص١٠
[١٥٢] - معاوية بن ابي سفيان بن صخر القرشي الاموي ، مؤسس الدولة الاموية في الشام ، الزركلي ، الاعلام ، ج٧ ، ص ٢٦١
[١٥٣] - حسين مؤنس ،معالم تاريخ المغرب والاندلس ، ص ٣٦،٣٧
[١٥٤] - غوردو ، عبد العزيز ، الفتح الإسلامي لبلاد المغرب (الكويت : دار ناشري) ص ٦٩